مفكرة

# بقيّة السيف في الهند الصينية

**قد يكون وراء الاصطلاح لعبة بلاغية ، ولا غرابة في ذلك فهي من محتويات نهج البلاغة ! الا ان مضمونا عميقا تمتلكه العبارة عندما توضع في سياقها . انه يقول :**

**بقية السيف ابقى عددا واكثر ولدا**

وبقية السيف كناية عن : قوم يخوضون صراعا دمويا ضد قوة تريد اغتصابهم ويقدمون في خضم الصراع ضحايا ذات حجم كبير ثم تخرج بقية منهم منتصرة في خاتمة الصراع . هذه الجماعة المنتصرة التي يسميها النص البلاغي الآنف ، بقية السيف . انها بمعنى : ما تبقى في لحظة انتزاع النصر . وتتميز هذه البقية بكونها ابقى عددا واكثر ولدا ، اي بقدرتها على النمو والبقاء ، والجماعة التي تملك هذه القدرة تكون في العادة صحيحة الجسم والعقل والخلق ، وهذا هو شرط بقائها ونموها . وتاتيها هذه الصحة من السيف ، اي من البندقية بلغة هذا العصر .

لدينا صنيعة عصرية لهذا المفهوم في نص لماوتسي تونغ يقول : .. ان الحرب الثورية هي الترياق الذي لا ينجينا فقط من سموم الاعداء وانما يطهرنا ايضا من قذاراتنا الخاصة ..»

اي ان الحرب الثورية تتمخض عن « بقية السيف »..

في العصور الماضية لم تكن الدنيا ملائمة لقيام مجتمعات نظيفة . وكانت بقايا السيف من القلة الى الحد الذي يجعل العثور على نموذج تاريخي لها مدعاة للفخر والدهشة . وسر هذه القدرة يعرفه مؤرخوا المجتمعات وفي القرن الحالي كثر الثائرون وتعددت الثورات وصار من المعتاد ان يرفع السلاح في وجه الطغاة حيثما وجدوا . وقد اعطت الماركسية حاملي السلاح سلاحا فلسفيا يهيء لهم المزيد من فرص الانتصار كما يضمن لهم القدرة على الاحتفاظ بالنصر واستثماره وهكذا تمخض القرن الحالي عن الكثير من بقايا السيوف الذين تفاوتت مزاياهم في الوضوح تبعا لعدة اعتبارات : الفلسفة التي يحملونها ، حجم التحدي الذي واجهوه ، نقاوة افكارهم ، طبيعة قياداتهم ، وربما خواصهم التاريخية ... اما ابرز نموذج لبقية السيف اظهره العقد الاخير من هذا القرن فقد اعطتنا اياه شبه جزيره الهند الصينية .

في وسعنا ان نتحدث عن تفرد هذا النموذج من غير ان نسقط في التاليه فالتفرد لا يعني الاعجاز . ونحن في عصر لم يعد المستحيل يشغل منه حيزا يكفي لتشكيل منطقة ضغط خفيف للمعجزات ولدينا في هذا المجرى امور جوهرية تمهد النوذج الراهن :

استطالة امد الكفاح المسلح دون ان يلقي الشعب سلاحه بسبب اليأس او الملل . وقد اضطر الشعب الى مجابهة امبراطوريتين على التعاقب ولكنه هزمهما قبل ان يلقي السلاح وسجل على ارضه بداية النهاية لكل منهما . واننا لنعلم ان الامبراطورية الفرنسية قد اضمحلت الان . اما الامبراطورية الاميركية فقد دخلت في هذا العام بالذات اولى مراحل اضمحلالها . حدث ذلك على ارض الهند الصينية لتقدم دليلا ملموسا على صحة توقعات شي غيفارا حيث ربط بين تجربة من طراز فيتنام وبين انحلال الولايات المتحدة . ويعطي الاستمرار الطويل لحرب فيتنام اشارة الى عدم محدودية الزمن الثوري خلافا لما يتوهم بعض الثوريين القصيري النفس .

يقترن طول النفس القتالي عند الفيتناميين خاصة بتراث غني بالتجارب القتالية ضد المحتلين يتصل بايام الكفاح ضد الاحتلال المغولي « راجع حول هذا الموضوع دراسة حول تكون الامة الفيتنامية في مجلة الطريق اذار ١٩٧٤ »

وعلى طول هذا الخط المديد من الكفاح ضد التحديات الخارجية كان شعب فيتنام ، خاصة ، يكتسب مزاياه التاريخية كشعب مقاتل عنيد وطيب ، متمرس في التضحيات ، حقود ولكنه غير انتقامي يتصرف في معيشته بروح المتصرف الواعي الذي يجمع بين بساطة العيش والفعالية المنتجة .

السمات النوعية للقيادة !

تملك قيادات الهند الصينية قضية تستقطب افكارها ونشاطاتها . وامتلاك القضية يكمن في اساس الحد الفاصل بين اللعب والكفاح ، بين الدجل السياسي والسلوك الثوري .. وقيادات الهند الصينية ماركسية في حملتها مما زودها بوعي وتخطيط علميين تجنبت بهما السقوط في البلبلة والتسيب . وفي سلوكها الشخصي تميزت هذه القيادات بالعصمة من انانية ومباذل رجال الحكم . بمعنى اخر : انها تمسكت بالزهد حيث البساطة في العيش ، وعدم التكالب على المغانم ورفض الامتيازات الشخصية . وهي بهذا الموقف تمثل مجمل الوضع الذي اتصفت به فضلا عن التاثيرات التي يمكن ان تكون قد فرضتها تقاليد المجتمع البوذي ـ الكونفوشيوسي الذي يجد نموذجه المثالي في الجماعة المسالمة الوادعة ، الميالة الى البساطة والايثار .

ان الخواص التاريخية للشعب ، مرتبطا بقيادة تتمتع بهذه السمات تشير كلها الى تفرد الهند الصينية ولقد عبر هذا التفرد عن نفسه في المراحل المختلفة الكفاح بقدر تجسد حضوره واستمراره عبر المراحل .

في هذا السياق يمكننا فهم التحول السريع الذي اصاب المدن المحررة فور دخول الثوار اليها . لقد كانت كل مدينة في السابق مركزا للمقامرين ومبغى عاما وساحة لسباق الخيل وناديا ليليا ، ثم آلت الى ان تكون ورشة عمل منتج وشريف لجميع سكانها . وهكذا كانت المدن المحررة تنتقل بسرعة من الطريقة الاميركية من الحياة الى الطريقة العصرية . حيث الشباب يقدمون على تغيير ازيائهم طوعا . فيقص الفتيان شعورهم الاميركية المدلاة على اكتافهم ، وترتدي الفتيات ملابس الحشمة بدل السراويل القصيرة ذات الطراز الاميركي ، وتتخلص المدن من عصابات المافيا وتجار الجنس والمال مثلما يتخلص الحديد من خبثه .

وبالنظر الى مجمل اوضاع شعوب وقيادات الهند الصينية نستطيع ان نفهم كيف تدخل جماعة مقاتلة الى مدينة وهي لا تحمل بعد كل تلك السنوات الرهيبة الغارقة في الدم اية نزعة انتقامية ؛ لقد ثبت ثوار الهند الصينية بذلك مفهوما للحقد الثوري ، الماثل في ساحة القتال والذي يدفع الثوري الى مجابهة عدوه بافتك واشرس الوسائل ولكن دون ان يتحول في مجرى الكفاح الى عقدة انتقامية من النوع المتداول في اوساط بعض الثوريين المسطحين .

في وسعنا اخيرا ان نفهم كيف سيمكن لبقية السيف في سايغون او فنوم بن او لاوس ان تقيم مجتمعا جديدا باسرع واعمق مما تستطيع تصوراتنا العادية ان تمتد اليه .. واني لاراهن منذ الآن ضد اي تلكؤ او انحراف او بيروقراطية ..

وهكذا فلتكن الثورات !

هادي العلوي